

ثانياً: بيئة العرب في العصر الجاهلي

١- البيئة الجغرافية:



استوطن العرب شبه جزيرة العرب، وهي - وإن تباينت جغرافيتها ما بين أنجاد وسهول وهضاب وسواحل بحار، إلا أن رقعتها الشاسعة كانت صحراء تمتاز بسطوع شمسها وكثرة مخاطرها وتقلب رياحها وتوحش حيوانها، وتمتاز في المقابل بصفاء سمائها وتلاؤ كواكبها وطلاقة هوائها ورحابة فضاءها.

ولا شك في أن الإنسان يتأثر بأرضه تطبعه بطابعها، وتلون أخلاقه بلون تضاريسها ومناخها، حتى لقد قال أحد علماء الاجتماع: (صفوا لي طبيعة أرض أصف لكم سكانها).

وسنرى في موضوعات هذه الوحدة كيف عاش الشاعر الجاهلي على وجه الخصوص متأثراً بالصحراء يستمد منها عناصر خياله، يتغنى بها ويغني لها، وظهرت في شعره بمظاهرها الطبيعية المختلفة كما ظهرت بحيوانها الأليف وحيوانها الشارد، وكثيراً ما وصف ليلها ومطرها وسحابها وسرايها، وكان إحساسه بها عميقاً صادقاً لا زيف فيه ولا افتعال.

٢- حياة العرب الاجتماعية والخلقية والثقافية:

أ، الحياة الاجتماعية:

العرب مجتمع قبلي من الدرجة الأولى، القبيلة فيه مقدمة وأمرها مطاع والمرء منهم غالباً ما يكون على دين قبيلته في رشدها وغيبها، يقول دريد بن الصمة:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشِدُ

ويقول قريظ بن أنيف التميمي:

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بَرَهَانَا



وقد كانت العرب بين أهل مدر وأهل وبر، فأما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى، وتعدادهم قليل، وكانوا يعيشون على الزراعة والماشية والضرب في الأرض للتجارة، أما أهل الوبر الذين يعدون الأكثر في ذلك العصر فهم من يسكنون الصحراء، وكانوا يعيشون من ألبان الماشية ولحومها منتجين منابت الكلاء، مرتادين مواقع القطر، فيحلون هنا ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعي، ثم يرحلون إلى جهة أخرى لطلب العيش وابتغاء الماء، فلا يزالون في حل وترحال.

وكانت القبيلة منهم تحمي مواقع السحاب، فلا يرعى غريب حماها، ولا يرد ماءهم إلا بإذنهم، ولطالما نشبت حروب بين القبائل من أجل بئر روية أو مكان معشوشب كما قال شاعرهم:

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

وقول الآخر:

إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غصبا

أما على المستوى السياسي فقد كان العرب على قسمين:

- ١- قسم لهم مساحة سياسية، وهؤلاء يعيشون في إمارات، كإمارة المناذرة في الحيرة التي أنشأها الفرس جنوبي دولتهم. وإمارة الغساسنة في بصرى التي أنشأها الروم جنوبي دولتهم، وإمارة كندة في بعض نواحي نجد التابعة للتبابعة في اليمن، ويمكن عد مكة من هذا القبيل حيث كان لها نظام سياسي ينتظمها.
- ٢- قسم لم يكن لهم وضع سياسي فهم تبع لقبائلهم وتخضع كل قبيلة لسيدها.

الجلول
hulul.online

ب (الحياة الخلقية:

أما أخلاق العرب فقد كان منها أخلاق كريمة أصيلة، ومن تلك الأخلاق والخصال الكريمة: الكرم والشجاعة والفروسية وعزة النفس، والعفة والشرف، وكره الذل، وصلة الرحم، وحسن الجوار، وإغاثة الفقير والملهوف، والحلم والصدق والأمانة والوفاء.

كما كان لبعضهم أخلاق جفاء يتخذونها وسيلة لغاية حميدة كالثار والنهب والسلب والعصبية القبلية، ومنها ما كان مقبولا في الجاهلية حتى جاء الإسلام فأنكرها، ومن ذلك الميسر والخمر والفخر بالأنساب والنياحة والطيرة والكهانة.

ج (الحياة الثقافية والدينية :

تقدم أن العرب كانوا أهل بلاغة وفصاحة، ولذلك تحداهم القرآن الكريم في أخص خصائصهم وأبرع فنونهم وهي البلاغة في مواضع عديدة كقوله تعالى:

{ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ } [البقرة: ٢٣].

فقد عرف العرب عددًا من الفنون الأدبية كالشعر والخطابة، كما عرفوا القيافة وعلم الأنساب والكهانة والفلك، وكان لهم منتديات وأسواق للتجارة والتحكيم في الخصومات ومفاداة الأسرى والتشاور في المهمات والمفاخرة بالشعر ونقده والاستماع للخطب وبث الآراء الإصلاحية من دينية وأخلاقية، ومن هذه الأسواق:

- ١- سوق عكاظ - وهو الأشهر - ويقام بين مكة والطائف من أول ذي القعدة إلى العشرين منه .
 - ٢- سوق مجنة وكانت تعقد في آخر عشرة أيام من ذي القعدة .
 - ٣- سوق ذي المجاز وكانت تعقد في أوائل ذي الحجة إلى موعد الحج .
- و المجنة وذو المجاز على مقربة من سوق عكاظ .

ولعل من فوائد هذه الأسواق تقريب لهجات قبائل العرب؛ التي كانت تأتي للحج والتجارة في الأشهر الحرم، فقد كانت قريش تقول: "لا تحضروا أسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز إلا محرمين بالحج"؛ فكان الجميع يتعاملون مع تجار قريش ويتخاطبون بلهجة قريش التي قويت، ثم ازدادت قوة بنزول القرآن الكريم بها .

أما الحياة الدينية فمما تقدم ذكره يتضح أن كثيرًا من العرب قد عبدت الأوثان؛ لتقربها إلى الله زلفى أو لتكون شفيعة لهم عند الله، لكنهم مع كل ذلك كانوا مؤمنين بتوحيده الربوبية فعرفوا أن للكون خالقًا وأثبتوا لله الرزق والإحياء والإماتة وملك الكون وشهد لهم القرآن الكريم بذلك^(١)، وقد كان لهم بعض المتناسك وبخاصة في أعمال الحج، ويصدق ذلك قول النعمان بن المنذر يصف ديانة العرب في حضرة كسرى: (أما دينها وشرعتها فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرًا حرمًا وبلدًا محرمًا وبيتًا محجوجًا ينسكون فيه مناسكهم... فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره فيحجزه كرمه ويمنعه دينه أن يمسه بأذى) لكن ذلك لا يعني نفي شركهم بالله، بل ما جاء الإسلام إلا لإزالة هذا الشرك .

كما كان بعضهم على ملة إبراهيم عليه السلام وبعضهم على النصرانية أو اليهودية ومنهم قليل ممن عبدوا النار .

١- ينظر: سورة يونس: ٣١، وسورة الزخرف: الآيتان ٩، ٨٧ .

وضع الجزيرة العربية قبل الإسلام : و لم تكن الجزيرة العربية قبل الإسلام بأفضل من وضع الممالك الأخرى في العالم كالعراق ومصر وغيرها . بل كان وضع العرب أسوأ مما كان عليه هؤلاء من ظلم و تخلف و عبادة الأوثان و انحلال أخلاقي من تفشي الخمر و لعب الميسر . كذاك ظلم و اضطهاد المرأة و رغم إيمان العرب بالله إلا أنهم اتخذوا إليه شفعاء و وسطاء وقالوا ((ما نعبدك إلا ليقربنا إلى الله زلفى)) و بمرور الأيام أصبحوا يعتقدون أن هذه الأصنام الشفعاء تملك قدرة ذاتية على النفع و الضر و الخير و الشر فاصبوا بتوهم أن إليها بعبادة مباشرة وقد كان لكل مدينة صنم بل كان لكل قبيلة صنم و أصبحت تجارة الأصنام (هبل) بينما كان (اللات) أعظم الأصنام لها شأن . وكان لكل بيت صنم و أصبحت تجارة الأصنام لها تجار وصناع وقد امتلأت الكعبة بالأصنام حتى بلغ عددها ثلاثمائة و ستين صنماً من مختلف الأنواع و الاشكال ومن أعجبها (إساف) و (نائلة)

: الحالة الأخلاقية عند العرب قبل الإسلام : شناعة الأدواء الأخلاقية المتفشية في جزيرة العرب :

تفشي شرب الخمر لأبعد درجة حتى كتبت فيه أشعار تصفه - تفشي الميسر أيضاً بصورة واسعة - كما كان الربا عندهم من المعاملات

يبالغ البعض في ذمّ عرب الجاهلية ووصفهم بالأوصاف الشنيعة وتجاهل ما لديهم من بعض الصفات الحميدة .

من خلال ما عرفت عن العصر الجاهلي اكتب - في أقل من عشرة أسطر - مقالة موضوعية تصف فيها حال العرب قبل الإسلام .

(٢) نشاط تعليمي شفهي:

قال امرؤ القيس واصفاً:

ترى بعراً الأرم في عَرَصَاتِهَا وَقِعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلْفَلٍ

وقال أمية بن أبي الصلت مادحاً:

تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ
وقال المهلهل راثياً:

سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَبَسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ

ما المظاهر الصحراوية التي تبرز في الأبيات السابقة؟

(٣) قراءة وتحليل جزئي:

يقول ذو الإصبع العدواني يلوم ابن عمه على معاداته له وتآلبيه الأعداء عليه، ويفأخر بنفسه وخلقته:

الإباء - العزة - الفخر بالنسب -
الكرم - النجدة - العفة - النصح

إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَايِي بِذِي غَلَقٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمَنْطَلِقٍ
ويقول عنتره بن شداد:

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي
وَيَقُولُ الْأَعَشَى:

الضَّيْفُ أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ
وَالْجَارُ أَوْصِيكُمْ بِالْجَارِ إِنَّ لَهُ
حَقًّا عَلَيَّ فَأَعْطِيهِ وَأَعْتَرِفْ
يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفْ

اقرأ الأبيات قراءة معبرة، ثم استخرج منها بعض صفات العرب الحميدة، التي كانوا يفتخرون بها.